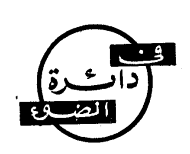


تصحيح المفاهيم الإسلامية

أنور الجندي

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » .

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « انما ستنتقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لم يعرف الجاهلية » .

ان أخطر الأخطار التى تواجه المسلمين اليوم : خطر التغريب .

والتغريب هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الاستسلام والاحتواء والتحرك من داخل دائرة الفكر الوافد (وليس من داخل عقلية الغرب نفسه) ودائرة الفكر الوافد تختلف فى أنها تحشد الشيء وضده ، وتسوق المذاهب المتعارضة كلها فى خضم جارف (وجودية وماركسية وليبرالية وهيبية ولا معقولية) حتى تسقط النفس الاسلامية ويسقط

العقل الاسلامى صريع الخلاف والاضطراب ويتشكل احساس بالسلبية المطلقة والعدمية .

والهـدف من حملة التغريب هو اخراج المسـلمين من دائرة فكرهم بمـا يخلق شـعورا بالنقص فى نفوسهم وذلك بالتأثير فى النفس والمزاج والروح الاسلامى لاخراجها جميعا من مفاهيمها ومواريثها وفرض أعراف جديدة عليها مخالفة لها فى الأصل مباينة لها فى الجذور .

وفى مواجهة هـذا علينا أن نعرف بأن هنـاك عالمين منفصلين : قد يؤثر أحدهما فى الآخر ولكنهما لا يمتزجان أبدا ولا يخضـع أحدهما للآخـر ، ولا يستوعب أحدهما الآخر ولا يحتويه ، هما عالم الاسلام المتميز بطوابعه ومفاهيمه وقيمه وعالم الغرب .

والفـكر الاسلامى له من جـذوره العميقة وأصوله العريقة ما يجعـله قادرا دوما على التماس التجدد دون أن يفقد الأصالة .

والخطر كله يتمثل فى بعض المفـكرين من العـرب الذين يفـكرون من داخل دائرة الفـكر الغربى ويتحركون خارج أطار الفـكر الاسلامى ومن هنا تأتى أخطاؤهم ويأتى عجز نظرتهم عن أن ترى الأفق الواسع الممتد .

ان هنـاك منهجا : لا هو غربى ولا هو اسلامى ، وانما هو منهج زائف صنعته اليهودية التلمودية الصهيونية وكشف عنه بروتوكولات صهيون قد أعـد خصيصا لادخال العرب والمسلمين فيـه ، فاذا دخلوا أحكم عليهم كالسجن

فلا يصلون الى شيء ، لا الى معطيات الفكر الغربى ولا الى أصولهم الأصيلة وانما يذوبون هكذا فى غير ما أفق ويدورون فى غير ما سماء .

ان مناهج العلوم والنفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد التى يقدمها لنا الغرب تنقصها اضافات ، الأولى : طابع التكامل والجمع بين العقل والقلب والمادة والروح والدنيا والآخرة .

والثانية : الدور الطليعى الذى قام به المسلمون فى بناء هذه المناهج يوم أن كانت موجهة الى الحق والى الحق وحده وقبل أن يلتهمها الالحاد ثم تستقطبها الصهيونية العالمية .

ان هناك محاولات جادة لتقديم ثلاثة مناهج للفكر الاسلامى تحتاج الى يقظة ومواجهة :

١ — ما يسمى علم مقارنات الأديان الذى يقوم بأحكام مسبقة الى تفضيل الأسبق والاول وهذا يستهدف الانتقاص من الدين الجامع الخاتم وهو الاسلام .

٢ — ما يسمى علم الانتروبولوجيا : وهو خاص بدراسة الشعوب البدائية وهدفه استخراج مفاهيم وقيم تعارض الكتب السماوية واعلاء شأن الأساطير والسحر والتنجيم القديم واعلاء شأن العنصرية والدماء .

٣ — ما يسمى العلوم الاجتماعية بالاضافة الى نظرية فرويد وتستهدف الغاء طابع الفطرة الأصيل فى الاسرة ورد دوافع الانسان الى الجنس والى الطعام .

وتسيطر الصهيونية اليوم على هذه العلوم والدراسات بغية تحقيق أهدافها التى أوردتها بروتوكولات صهيون .

وتستهدف محاولات التغريب اليوم أهدافا متعددة :

أولا : محاولات اسقاط أسس وقيم وفرائض أساسية كالجهـــاد مثلا .

ثانيا : محاولات تحريف التاريخ والنصوص الاسلامية كاسقاط رحلة ســـيدنا ابراهيم عليه السلام الى الجزيرة العربية .

ثالثـــا : محـــاولة اضافة أشـــياء ليست أصـــيلة كالاسرائيليات .

رابعا : محاولة الفصل بين الأدب والفـــكر ، واللغة والدين ، والدين والمجتمع .

خامسا : محاولة تمويه القيم باعلاء القانون الوضعى على الشريعة .

سادسا : اثارة النعرات الاقليمية والعنصرية بالدعوة الى القوميات والتجزئة .

سابعا : محاولة التمويه بخلط الأخـــلاق الاسلاميـــة المصدر بالعادات والتقالية التى هى من صنع المجتمع .

ثامنا : محاولة تأليه العقل أو تقديس العلم أو الدعوة الى عبادة البطولة .

ان الهدف هو الحيلولة دون استئناف المسلمين حياتهم الاجتماعية على أساس الاســلام وذلك عن طريق تركيز المفاهيم الوافدة والتشكيك فى العقيــدة الاسلامية وتشويه التــاريخ والتراث الاسلامى فى سبيل تأكيد التبعية وفقدان الذاتية .

وقد آن للعرب والمسلمين أن يتحرروا من هذا المخطط الرهيب بالفهم والعمل .

ان الطريقــة المثــلى للتحــرر من الزيف والخطــأ من التفسيرات المدخولة : ومن التحريفات والأساطير وأخطاء التهاويل هو شيء واحد : هو التماس المصدر الأصيل : وهو القرآن .

هــذا المصدر الثابت الموثق الذى لا يأتيه الباطــل من بين يديه ولا من خلفه ، فهو السور المتين والحائط الصامد الذى يعتصم به المسلمون فى كل أزمة وكل جولة ومن كل غزو فكرى أو تحد سياسى أو استهداف اجتماعى .

ومنهج الاســلام فى القرآن هو أعلى نموذج للمنهج العلمى الأصيل ، فهو يدعو الى انكار الظن وتحقيق الغرض ونفى الأسطورة والخرافة وابعاد الوهم والهوى والمطالبة بالبرهان والدليل .

ان قواعد الفكر الاسلامى الأساسية قد بدات ونمت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مستمدة من القــرآن وان هذه القواعد لم تتغير من بعد ولم تجر اضافة شىء اليها فظلت قيمها الأساسية كما جاء بها وحى السماء (القرآن) وسنن النبى فى تفسيرها وتطبيقها وانما جرت حركة العمل من داخل الاطار الذى رسمه القرآن ، ولقــد كان اتصال المسلمين بالفلسفات اليونانية والفارسية والهنــدية تجربة قاسية انتهت بانتصار الاســلام وهزيمة محاولات سيطرة الفكر الوافد أو الغزو الفكرى كما نسميه بلغة العصر .

وبقيت الحقائق الأساسية قائمة :

ان الاسلام ليس دينــا كسائر الأديان ولكنه حركة اجتماعية واسعة تشمل الاعتقاد والمجتمع والدولة ومختلف نظم الاقتصاد والسياسة والأخــلاق وان ميزة الاسلام : ان نظرته كلية شاملة وانه لم يجزىء الحياة بل نظر اليها نظرة جامعة متكاملة كما نظر الى الانسان نفسه كوحدة نفسية وجسمية لا تنفصل .

ثانيا : القرآن كتاب الله ومصــدر المنهج الاسلامى ، يرسم صورة شاملة للقيم الأساسية وأصول مناهج المعرفة والعلوم وسنن الحيــاة والكون والحضــارات والمجتمعات حيث يربط البشرية والكون جميعا بخالقها وبعثها وجزائها .

ثالثا : الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم (كان ولا يزال وسيظل) النموذج الاسمى والمثـل الكامل والقائم امام كل المجاهدين والمصلحين والنوابغ قدوة حسنة واسوة صادقة ، من نقطـة حب الرسول الى المتابعة له على طريق الحق .

وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم اثارة تستهدف تحرير البحث العلمى من كل الزيوف :

« ثلاث من كن فيـه فقـد استكمل الايمـان : (١) من اذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل ، (٢) ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق ، (٣) ومن اذا قدر لم يتنـاول ما ليس له » .

* * *

ان الطريقـــة المثـــلى للتحـــرر من الزيف والخطـــأ ومن التفسيرات المدخولة : من التحريفات والأساطير واخطاء التأويل هى شىء واحد ، هى : التماس المصدر الأصيل موثقا ثابتا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو حق : السور المتين والحائط العـــالى الذى يعتصم به المسلمون فى كل أزمة وكل جولة غزو فكرى أو سياسى أو اجتماعى وقد رسم الاسلام فى القرآن قاعدة المنهج العلمى فهو يدعو الى انكار الظن وتحقيق الفرض ونفى الأسطورة والخرافة وابعاد الوهم والهوى والمطالبة بالبرهان والدليل .

وبهذا المنهج الأصيل نقول انه قد آن للعرب والمسلمين أن يتحرروا من التبعية للنظريات الغربية أو المفاهيم الوافدة وعليهم أن يفـــكروا بلغتهم وأن يتحركوا من داخل فكرهم وأن يتجاوزوا سارتر وفرويد وماركس ودوركايم .

وعلى المسلمين أن ينتقلوا من الاســـلام الى الايمـــان ولابد أن ينكسر قيد التبعية ويتحطم قيد التقليد ويتحرر الفكر الاسلامى من الدائرة المغلقة التى فرضها عليه نفوذ المنهج الغربى الوافد ولابد أن يرتبط مفهوم « التقـــدم » بمفهوم الأصالة ويتحرك من داخله ، التقـــدم بمفهومه الجامع : تقدمـــا ماديا ومعنـــويا استمدادا من المنبـــع الأصـــيل ، وان من أخطر الأخطار أن يدخل العرب والمسلمون فى مواجهة مع عدوهم بمفاهيم وافدة وقيم مضللة واعتقادات وثنيـــة

ولابد أن تفتح اللغـــة العربية أبوابهـــا لاستقبال العلوم والتكنولوجيا بمختلف فروعها وأنواعها وهذا شرط أساسي لقيام نهضة حقيقية ، فلا بد أن تنصهر هذه العلوم فى بوتقة اللغة التى هى فكر الأمة ووعاء ذوقها وثقافتها ، ولن تستطيع أمة أن تخطو فى مجال العلوم خطوة واحدة الا اذا كانت مفاهيم العلوم داخل اطار لغتها .

* * *

ولقد دعا الاســـلام معتنقيه الى معارضة التقليـــد الأجنبى ، وحذر من التشبه بالآخرين وحرص على أن تظل شخصية المسلم وفكره وحضارته ومجتمعه متميزة ، وأعلن لذلك حربا لا هوادة فيها على التقليد وعلى التبعية وحكم على من تشبه بقوم بأنه قد انفصل عن أهله وأصبح من أهل القوم الآخرين . ودعا الى اعلان التمييز بين الأمم من حيث العادات والأخلاق . وكشف الاسلام عن مدى اثر التقليد فى فقدان الشخصية وأثر التبعية فى عبودية الفكر والعقل . وقد أكد المؤرخون بأن التقليد فى مراحل الضعف انما يكون فى جوانب الهـــدم والانحـــلال ويتركز دائما على الانهماك فى اللذات فضلا عن أن القـــوى الكبرى لا تعطى للضعفاء أسرار علومها ، وانما تلهيهم بفتات الأهواء وبريق الرغبات التى من شأنهـــا أن تحطم المقومات وتدمر النفس البشرية وتجعلها غير قادرة دائما على معارضة هذه القوى الكبرى .

لذلك فان الطريق الوحيد للامم التى تحوطها الأخطار ان تظل دائما على تعبئة ومرابطة ومن هنا فان الذين قالوا لنا : أن نسير ســـيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لم يكونوا صادقين فى النصح والتوجيه .

وحين عمـــل الاسلام على تحـــرير أتباعه من التأثير الأجنبى بكل أنواعه ، دعا الى الحذر من الحرب النفسية

التى يشنها أعداء الاسلام والتى تهدف الى تغيير المعالم الأصيلة لعقيدتنا وفكرنا وثقافتنا ومزاجنا النفسى .

ومن مفاهيم التبعية « ايجاد البديل فى مواجهة الأصيل » والأمم العريقة التى تكامل فكرها لا تكون عادة فى حاجة الى مفاهيم وافدة ، فاذا نظرت فيها فمن أجل أن تعرف اسلوبها وأهدافها ، مع تقدير الفارق البعيد بين منهج جزئى انشطارى ومنهج متكامل جامع ، بين منهج ربانى يستقطب النفس الانسانية من جميع أبعادها ومنهج بشرى عاجز عن الاستمرار والدوام . ولقد رأينا كيف أن النظريات التى قدمها الغرب سرعان ما تصدعت وبان فسادها بمرور الزمن واحتاجت الى اجراء تعديلات بعد تعديلات وهى فى أغلبها تعديلات جوهرية ، ذلك أن تحول الزمن واختلاف البيئات يفسد النظريات ويصيبها بالعطب والاضطراب ويكشف عن الفارق البعيد بينها وبين المناهج الربانية الثابتة ثبوت الفطرة وقد رأينا ذلك فى الماركسية والفرويدية والوجودية .

ومن اخطر الأخطار أن تتخذ أمة الاسلوب الوافد أسلوبا اساسيا لها مع اختلاف المفاهيم والمضامين التى شكلت هذا المنهج فى اساسه .

ولقد احتاجت بعض المجتمعات الى وضع مناهج للحياة (أيدلوجيات) لأنها لم تجد مناهج فى عقائدها ، أما المسلمون

فانهم ليسوا فى حاجة الى بناء مناهج بشرية وعندهم منهج محكم من صنع العلى الخبير ، الخبيـــر بالنفس الانسانية ((**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**)) ولقد كان من اثر انطلاقة الانسان ليضع لنفسه منهجـــا ان فسر الحيـــاة تفسيرا ماديا ، وفسر علاقات الانسان تفسيرا حيوانيا وأباح الربا واطلق الغريزة وفلسف ذلك كله وأرضى به النفوس الصغيرة حين خالف به فطرة البشرية وحكم الله .

* * *

ان أخطر المحاولات التى تحتاج الى الانتباه الوافر : هى محاولة وضـــع الانسان فى موضع تبرير القيم الغربية باسم سماحة الاسلام وانفتاحه وقابليته للجديد ومسايرته لظروف الأمم والحضارات ، ولا ريب أن للاسلام قواعد كلية لا سبيل الى النزول عنها وخاصة فى مسائل الربا والحدود وعلاقة الرجل والمرأة وعلاقة الأسرة بالمجتمع ، كذلك فللاسلام أصول ثابتة فى المعاملات . كل ذلك ليس موضـــع التبرير أو التأويل لأنه هو الدعامة الصحيحة للمجتمع الاسلامى ، أما فيما عدا ذلك فان هناك محاولات للاجتهاد ، هذا فضلا عن سعة الأطر ومرونتهـــا التى تجعلهـــا كفيلة بالصلاحية لكل البيئات والعصور .

والمعروف ان النظرية الغربيـــة أيا كانت فى مجـــال الاقتصاد أو الاجتماع أو النفس أو الأخلاق هى استجابة لتحديات مجتمع بعينه ، له مشاكله وأزماته وقيمه وعقائده ، وقد قامت على مقياس ذلك المجتمع وحجمه ، ومن خـــلال واقعه ، فكيف تصلح لمجتمع غيره ، فضلا انها قامت فى مرحلة أزمة وضعف وانحلال فى ذلك المجتمع ولم تكن من معطيات عصور القوة والبناء ، فعلى المسلمين أن يتنبهوا الى هذه المحاذير .

* * *

هناك محاذير خطـــيرة تتضمنها دعوة التغريب وعلينا أن نكون واعين لأهدافها :

● هناك دعوة الى نبـــذ الماضى والتاريخ والتراث ، ووصفه بكلمة « قديم » وهم من خلال هذه العبارة الغامضة يحاولون هدم الاسلام ، وفى نفس الوقت الذى يدعون فيه الى نبذ القديم المتصل بالاسلام ، يدعون الى احياء الماضى الوثنى والجاهلى والسابق للاســـلام والذى تلاشى تماما ، ولم يعد له فى ضوء الاسلام بقاء بعد أن سحق الاسلام فلول بابل والمجوسية والغنوصية والهلينية وتأليه البشر وعبـــادة الأجساد والبطولة البشرية .

● وهنـــاك دعوة الى مهاجمـــة الفصاحة العربيـــة والخطابة والشـــعر العربى وهى محاولة واضحة الهـــدف لأنها حين تقصد احياء العاميات انما تستهدف البيان القرآنى وخلق لغة أقل من مستواه حتى ينفصل المسلمون عنه ويعجزوا عن فهمه .

● ان مفهـــوم البطولة الاسلامية لا يستمد مفهومه من نظرية لمبروزو أو فرويد أو أميل لدوفيج ولكنه يستمد وجوده الحقيقى من أثر العقيدة والتربية الاسلامية فهى التى أعادت بناء الأفراد من جـــديد بناء مستأنفا كما حدث لعمر وسعد وخالد والخنساء وتقدير البطولة فى الاســـلام يرتبط

بالعمل وليس بالفرد وليس فى الاسلام بطولة تسوق صاحبها لحرب من أجل امرأة كما فعل (اخيل) فى الياذة هوميروس.

والبطولة فى الاسلام تقوم على تخليد الأعمال لا تقديس الأبطال ، والامر ما قال أبو بكر يوم أن اختار الرسول صلى الله عليـــه وسلم الرفيق الأعلى : من كان يعبـــد محمـــدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت .

● ان اى حـــديث عن الصراع بين العـــلم والدين فهو عن دين غير ديننا وعن أفق غير أفق فكرنا أو مجرى تاريخنا وعن محيط غير محيطنا وهى تحديات لم يعرفهـــا الاسلام فى تاريخه ولا مجتمعه .

● ليس فى الاســـلام ما يقال من أن نشر العـــلوم والثقافات هو بديل عن التربيـــة والتهذيب الخلقى ، ذلك لأن العلم سلاح ذو حدين يصلح للهدم والتدمير كما يصلح للبنـــاء والتعمـــير ، ولابد لكى يتحقق استعماله استعمالا صحيحا ، من أن يتم ذلك فى اطار الأخلاق وخير الناس وعمارة الأرض وتقوى الله .

● واذا قيل لنا ان على الفكر العربى المعاصر أو الأدب العربى المعاصر أن يكون مستقلا فلنسأل : عماذا يستقل ؟ هل يستقل عن أصوله وجذوره ؟ وهل استقل الفكر الغربى المعاصر عن جذوره اليونانية والهلينية والمسيحية الغربية ؟ واذا كان الفـــكر الغربى يعلن أنه لا يفهم فهما صحيحـــا الا اذا فهمت الاغريقية واللاتينية فهل من عجب أن يستمد الفكر العربى من الاسلام ويستند الى العربية .

● القول بأن كل دين قابل للتطور وملاءمة العصور لا ينطبق على الاسلام لأن الفكر البشرى هو وحده الذى يتطور ويطوره أهله ليوافق العصور والأزمان ، أما الدين الالهى فان الخالق تبارك وتعالى قد اقامه فى احكام وتقدير وجعله قادرا على مواجهة أبعاد المجتمعات والعصور ، لقد وضعه الحق تبارك وتعالى فى أطر واسعة مرنة قابلة للحركة والتجدد وأما القول بالتطور فى مجال الأخلاق والشرائع فانه يجعل من الدين مجموعة من المبادىء النسبية التى ليست حقائق مطلقة ، تتطور وتتطور الى ما لا نهاية وهذا ما لا ينطبق على الاسلام .

● لقد فرق الاسلام بين الأخلاق من ناحية وبين التقاليد والعادات من ناحية أخرى ، فالأخلاق هى القيم التى رسمها الدين الحق وهى التى لا تتعرض للتحول أو التغيير (مفاهيم الخير والشر والحق والباطل) الأبدية الثابتة ، أما العادات فهى من نتاج المجتمع ولذلك يخطىء رجال العلوم الاجتماعية حينما يحكمون على الأخلاق حكمهم على العادات والتقاليد . ومن هنا نلحظ محاولة الاستعمار والغزو الفكرى فى اعلاء شأن العادات والتقاليد الموروثة لترتفع الى مكان قداسة القيم أو لكى تطغى على القيم الأخلاقية الاصيلة .

● ان ترتيب البعث على الحياة والموت ليس أمرا مستحيلا ولا متناقضا عقليا بل ان شبهة افتراض أن الموت نهاية الحياة هى التى تبعث الريبة والشك فى النفس فكيف ينتهى العالم دون أن يفصل فى أمره أو تكشف حقائقه ، أو يجاب عن أسئلته ولم يجز العاملون فيه ثوابا وعقابا ، كيف يمكن أن تنتهى الحياة الدنيا دون حياة أخرى تقدم

للناس تفسيرا كاملا وجزاء صادقا . وتقضى الأمور فى عثرات القضايا التى أثارها أصحاب المنهـــج البشرى فى معارضة المنهج الربانى . ولا ريب أن مفهوم المسئولية الفردية مما يترتب عليه الحساب والجزاء فاقرار البعث مطابق للفطرة ولا يشكل تناقضا عقليا وانما القول بالصدفة هو العجز عن فهم أبعاد الحياة والموت ((**أفحسبتم انما خلقناكم عبثـــا وانكم الينا لا ترجعون**)) .

وليس فهم الحياة بوصفها معبرا الى الآخرة بمنقص من هدف بنائها وتحسينها ولكنه عامل هام فى جعلها أكثر أصالة وعمقا لأنه يقوم على أساس الاتجاه الى الله وتقدير المسئولية الفردية والجزاء الأخروى .

ولقد دعا الاسلام الى العمل والتعمير والاقتحام ثم دعا الى الرضا بقضاء الله فى النتائج .

● ليس الوحى انطباعا فى نفس محمد صلى الله عليه وسلم : فهناك فارق عميق وواضح بين نظم القرآن وكلام سيدنا محمد ، فانحذر خطأ القول بأن القرآن فيض من العقل الباطن وليس وحيا الهيا حتى ليقول بعضهم : أليس الأفضل الاشادة بعبقرية محمد والمعيته وصفاء نفسه بنسبة القرآن اليه ، كلا ، لا داعى لهذه الاشادة الزائفة فان الله تبارك وتعالى قد أشاد به بما لا تستطيع البشرية كلها أن تقوله حين أعلن أنه عبده وخاتم رسله ، وانه بشر يوحى اليه ، والحق أن الهدف من هذه المفاهيم الزائفة هو قطع الصلة بين المسلمين والقـــرآن فانه ان كان القـــرآن كلام محمد فهو من عمل البشر ومن هنا يفقد معناه الاسمى وينتهى أمر

الاجماع عليـــه ، لقد كان محمـــد أميـــا لا يقرأ ولا يكتب فمن الذى أطلعه على ان ما فى القرآن مصدق لما فى التوراة حتى تحدى به اليهود ، لقد كان علمه بشئون قومه لا يزيد على علم غيره فمن أطلعه على قصص الأولين وصدق الله العظيم : ((**قل نزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض**)) .

● خطر القول بأن كل انسان حر ، بمعنى أن يرفض التجربة أو وجهـــة النظر الأخـــرى أو النصيحة أو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولقد استشرى هذا الخطر فقال دعاة الهزيمة بأن على الأبناء ان يشقوا طريقهم دون توجيه ويستعلوا على تجربة الأجيال السابقة ، وهذا مغمز خطير يراد به تحطيم الرابطة الأصيلة بين الاجيال ، وايجاد الصراع بينها ودفع الأجيال الجديدة الى التمرد على القيم الأساسية للمجتمعات . ذلك أن الدعوة لا تكون الى متابعة الناس بقدر ما تكون الى التماس مفاهيم الدين والأخـــلاق الثابتة ، التى ربما تختلف عنها الأجيال السابقة فأخطأت هى أيضا . ان الشباب وهو الذى يحمـــل الأمانة فى الغد لابد أن يبنى على الأســـاس وأن يتحرز من اخطاء السابقين وأن يستمد التجربة والمثل الأعلى والاسوة من النموذج الاكبر : محمد صلى الله عليه وسلم قدوة الأجيال والامم .

● ان المجاهـــدة بمعنى معارضة الأهـــواء والمطامع والكظم بمعنى تأجيل الرغبة ، هو قمة الدين وهو لا يقع تحت المخاطرة الوهميـــة التى أذاعهـــا فرويد عن الكبت ذلك أن الكبت انما يستمد معناه من انكار الرغبات أساسا واحتقارها وعدم الاعتراف بها ، وهـــذا ما لا يدخل مطلقا فى اطار المجتمعات الاسلامية التى يقوم الاسلام فيها على

أساس الاعتراف بالرغبــات النفسية والحسية والجنسية اعترافا كاملا دون انكار لها ، وان كان يؤخر الممارسة لها الى ان تتحقق القدرة المادية ، ان خطر الكبت الذى تفرض الفرويدية انه يؤدى الى العصاب لا يتحقق الا نتيجة الانكار والاحتقار ، اما الاعتراف مع التأجيل فذلك مما تقبله الطبيعة البشرية وترضاه ولقد هللت طويلا دعوات التربية الحديثة بأن توجيه الأطفال وعقابهم يؤدى الى كذا وكذا من الامراض ثم اثبتت التجارب التى أجريت بالاحصاء الى أن ذلك محض وهم وأن النفس الانسانية قابلة للتوجيه والتحذير والعقوبة دون أن يحدث ذلك عندها ما يسمى بمركبات النقص أو غيره .

ونحن نؤمن بأن صانع النفس الانسانيــة هو أقدر على فهمها وهو الحامى لها وان ما رسمه لها من مناهج وأساليب تحذير وترغيب وترهيب انما هو دواؤها وانه متقبل منها وليس بشاق ولا عسير وليس له خطر ولا ضرر على النحو الذى تهول به الفلسفات . وان كنا نريد أن نعرف الخلفيات فلنعرف أن الهدف هو تفكيك عروة الشباب منذ الطفولة وبناء أجيال متحللة مدمرة ورفع يد الآباء عن التوجيه وخلق جو من الكراهيــة حتى يفقــد الشباب ثمرة التجربة والعبرة التى خاضـــها الآباء وذلك عن طريق هـــدف بروتوكولات صهيون الصريح : وهو تدمير المجتمعات الانسانية قبـــل السيطرة عليها .

● ان خطر دعوات الصهيونية العالميــة هى دعوتهم الى « الجنس » دعـــوة الى أن يصبح النـــاس لا يخجلون من اعضائهم التناسلية ، ولقد هاجمت اليهودية التلمودية الآداب الدينية المسيحية حين وجدتها عائقا أخلاقيا دون نجاح

هذه الدعوة ومن ثم أخرجت المدرسة الغربية من رعاية الدين وفرضت عليها منهج العلمانية حتى يعلم الشباب فى طفولتهم أسس دعوات الجنس والانحلال ويهدف هــذا حين يطرح فى مجتمعنا الاسلامى الى هدم صلابة الشباب الذى يحمل أمانة الغــد واسقاط الأسرة التى هى الركيزة الاساسية للمجتمع .

* * *

ان هناك علما جديدا يولد فى افق الفكر الاسلامى الحديث هو :

علم المواجهة وكشف الشبهات وتصحيح المفاهيم وتحرير القيم .

يقول هذا العلم : قولوا لنا أولا من الذى كتب : نحن لا نعرف الحق بالرجال ولكن نعرف الحق فنعرف أهله قبل أن نقرأ لابد أن نعرف من الذى نقرأ له ، ونضعه على منصة التشريح ، كما نضع عقله على مائدة التحليل . لقد عرف المسلمون قديما علم الجرح والتعديل فدرسوا الرجال الذين يأخذ عنهم العلم وصنفوهم ، وعلينا أن نطبق هذا العلم على المعاصرين الذين يتصدرون حياتنا الأدبية والفكرية فلا تبهرنا الأسماء اللامعة ولا الاضواء المسلطة ولا تأخذ بألبابنا الأوراق الناعمة والاغلفة البراقة والصور الملونة فان الزيف يغلف دائما ويبهر أما الحق فان أصحابه فقراء .

كذلك فان فصل العلم عن صاحب العلم نظرية لا يقرها الاسلام :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الحافظ أبو ليلى عن حماد عن الشعبى عن جابر : « **لا تسألوا أهل**

الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا وانكم اما أن تصدقوا بباطل واما أن تكذبوا بحق » .

ونحن نأخذ العلم الطبيعي والتجريبي عن اى مصدر ، ولكنا لا نأخـذ عن أحـد مفاهيم العقائد ونظرة الانسان الى الوجود ، فالمسلم لا يتلقى أصول فكره الا من القرآن والسنة .

والقاعدة العامة أن هنـاك أمورا عالميـة مشتركة بين الأمم البشرية جميعا وان هناك أمورا خاصة بكل أمة . الأمور العامة هى العلم والمعرفة والامور الخاصة هى الاخلاق والقيم التى تشكل ذوق كل أمة وروحها ومزاجها أما المعارف العالمية فانها تنقل لأنها ملك الجميع ، أما الامور الخاصة فهى لا تنقل ولا تقتبس لأنها مرتبطة بكل خصائص الانسان وجذوره التى بناها فكره وكونتها عقيدته منذ القرون البعيدة .

لقد نقل الغرب علومنا دون أن يعتنق ديننا او ثقافتنا واحتفظ بقيمه ومفاهيمه . كذلك فعـل العرب والمسلمون عندما نقلوا العلوم وترجموا الفلسفات .

ان تخلى اية أمة عن قيمها من شأنه أن يهدم شخصيتها ويذيبها فى الكيان الأممى . ان هناك محاولة واسعة لحمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب والخروج من ذهنية الاسلام وهدف المحاولة هى ازالتهم بازالة ذاتيتهم .

● ان هنــاك أربع شخصيات تبرز الآن ليست هى شخصيتنا الاسلامية الأصيلة : اليونانية الاغريقية ، الفرعونية الوثنية ، الجاهلية العربية ، الغربية الأروبية والامريكية .

● ان الاســلام يرفض تأليه العلم وتقديس العقــل أو عبادة البطولة .

* * *

أولا : يقوم منهج المعرفة الاسلامى على أساس التحرر من الهوى والعصبية والحقد ويستمد مفاهيمه من الفطرة وجماع القلب والعقل . وعلى العقل أن يتخذ من الوحى هاديا ومرشدا والا فانه يعجز عن الوصول الى المعرفة الحقة لعالم الغيب وما وراء المادة .

ثانيـــا : ليس الاســـلام فى شريعته وفكره وبطولاته تصورا فلسفيا ولا تصورا ماديا ولا تصورا روحيا ولكنه تصور انسانى الطابع ربانى المصدر ، يقوم على التوحيـــد والأخلاق والايمان بالله واليوم الآخر . ولذلك فان الفـــكر الاسلامى لا يوصف بأنه فكر دينى ولا توصف اللغة العربية بأنها لغة دينية .

ثالثا : الفكر الاسلامى لا يقر الرأى القائل بأن المعرفة الانسانية تقتصر على معطيات الحواس أو نتاج الفـــكر ، انما هو أوسع أفقا من ذلك : انه يضم وحى السماء الصادق المنزل الذى قـــدم أصول الشريعة ومفهـــوم عالم الغيب والذى قدم للانسان طمأنينة النفس وسكينة القلب وحفظها من التمزق والضياع والغربة .

رابعا : كان الاسلام قادرا دائما على تجـــديد نفسه وعلى اعادة صياغة فكره كلما انحرف هـــذا الفكر وأصابته دخائل تحوله عن جوهره .

خامسا : قد تعالج اى قضية بأحد منهجين : المنهج البشرى المستمد من مفاهيم الفلسفات والوثنيات والمادية وتفسيرات النحل . أو المنهج الربانى المستمد من الدين الحق . اما المنهج الاسلامى فهو منهج متكامل : مادة وروحا ، جامع دنيا وآخرة ، اما المنهج البشرى فهو أحد منهجين : مادى خالص أو روحى خالص وكلاهما ممزق للنفس الانسانية .

سادسا : يفرق الاسلام بين المعارف الجوهرية ، والمعارف غير الجوهرية التى ليست لها قيمة صحيحة ، والتى تستشرى ابان ضعف الأمم وتخلفها وتجتاح السوق كالعملة الزائفة .

سابعا : ان أبرز مفاهيم الاسلام : النظر الى ما وراء الظواهر : ظواهر الكون والحياة وما وراء نصوص الكلمات ، دون أن يخدعنا بريق الشهرة ، أو العبارة الخداعة .

ثامنا : تقوم دعوة الاسلام على أساس : التنوع فى اطار الثبات والتغير فى اطار الوحدة .

تاسعا : ينطلق المفهوم العلمى الاسلامى من قاعدتين ثابتتين : هما الوحى والعقل ، بينما ينطلق المفهوم الغربى من الفروض التى تبدأ بالظن وتوضع موضع التجربة . والقاعدة الصحيحة أن العلم الذى يبنى على الحقائق أشد ثباتا وقوة من العلم الذى يبنى عن القرائن .

عاشرا : قرر الاسلام مفهوم الوحدة فى ثلاثة أصول عامة :

● قرر وحدة النفس البشرية فلا انفصال بين الدين والحيـــاة أو الدنيـــا والآخرة أو الروح والجسم أو الواقع والمثال .

● قرر وحـــدة الجنس البشرى فلا فرق بين أبيض وأسود أو عربى وأعجمى الا بالتقوى .

● قرر وحدة الدين منذ نوح الى محمد : توحيد الله وثبات الأخلاق والمسئولية الفردية والبعث والجزاء .

حادى عشر : يقرر الاسلام أن الايمان بالله قوة دافعة تعطى الأمل وتحول دون اليـــأس وتبعث الثقـــة المتجددة وتحرض على المعاودة فى حالة الاخفاق وليس الايمان مضادا للمعرفة والاسلام لا يقف عند مفهوم المعرفة القائم على الحس والتجربة بل يضيف اليه علما آخر جاء به الوحى وسجله القرآن وفيه تفصيل عالم الغيب وعالم الآخرة فقـــد جعل الاســـلام الايمان بالغيب شرطا أساسيا من شروط المعرفة الحقـــة .

ثانى عشر : يدعو الاسلام الى التفكر والتأمل فى خلق الله :

« قل انما أعظم بواحدة : أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » .

ويقرر القرآن أن عدم التفكير ذنب وان البلادة الذهنية معصية :

« وقالوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم » .

ثالث عشر : التقــدم فى الاســلام ليس تقدما ماديا ولكنه تقدم جامع بين المادة والفكر . ليست العبرة بالتفوق التكنولوجى بل العبرة باقامة الفكرة والعقيدة اطارا يتحرك فيه العلم ويتجه الى البناء والتعمير واثراء النفس البشرية .

رابع عشر : يقيم الاسلام منهجه الاجتماعى والفكرى على الحركة فى اطار الثبات ، وللاسلام دعائم ثابتة لا يجوز تجاوزها : ثبات الاســلام ازاء الأخوة البشرية والعــدل الاجتماعى . ثبات الاسلام ازاء الجهاد . ثبات الاسلام ازاء تحريم الزنا . ثبات الاسلام ازاء الالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية وثبات الأخلاق . ثبات الاسلام ازاء الحدود (الخمر والقتل والميسر والزنا) .

خامس عشر : هنــاك مغالطات تقول بأنه : لا علاقة بين اللباس والأخــلاق وأن الشــهوات لا تستثار بالتبرج وتلك مفاهيم تلمودية تذيعها دوائر الفكر الوجودى والاباحى وهى لا تتفق مع مفهوم الاسلام الجامع الذى يرى أن زينة المرء جزء من كيانه الأخــلاقى والذى يفرق تفرقة واضحة بين رجولة الرجل وأنوثة المرأة ولا يقبل الخلط بينهما .

سادس عشر : لا سبيل الى تفريغ كيــان الانســان من مضمونه الاجتماعى والنفسى والروحى ، أو النظر اليه على أنه ذلك الهيكل البشرى خاليــا من الروح والوجدان ولا يقر الاسلام أن هنــاك صراعا بين الجسم والروح ،

وأعلن أن الروح والجسم متكاملان وبذلك أسقط مفهوم الرهبانية القائمة على الرياضة العنيفة وتدمير الجسد من أجل تحقيق الصفاء الروحى . آمن الاسلام بالروح والجسد معا ونظر الى الانســـان نظرة متكاملة وكرمهمـــا معـــا ودعا الى الاهتمام بهما : طهارة باطنة ونظافة ظاهرة وزينة طيبة من غير سرف ولا خيلاء .

* * *

(١٠)

ان أى منهج وافد سيلقى فى أفق الفكر الاسلامى خيبة وفشــلا وان الماركسية والديمقراطية الغربيــة والصهيونية قد عجزت جميعها أن تقدم للمسلمين والعرب ما يملا أفئدتهم باليقين أو قلوبهم بالثقــة وقد لقيت مذاهبهم صعابا جمــة فى مواجهــة الفكر الاسلامى الأصيل الذى استمد مضمونه من منهج محكم ربانى تعجز أى المناهج البشرية أن تقتحمه أو تستوعبه أو تسيطر عليه وان هــذه المناهج حين تطرح نفسها فى أفق الفكر الاسلامى فانهــا سرعان ما ينكشف نقصها ويتبين عجزها عن العطاء الذى تتطلع اليه النفس الاسلامية من خلال مفهومها الجامع المحكم الذى أمدها به الاسلام منذ أربعة عشر قرنا والذى مهما نحى عنها وزيف لها فانه قائم فى أعماقها متجدد على أيدى المصلحين والقــادة ومن هنا كانت يقظتها الواضحة اليوم ازاء ابتعاث الأصالة وتطبيق الشريعة الاسلامية .

* * *

دار العلوم للطباعة
القاهرة، ٨ شارع حسين حجازي (القصر العيني)
ت: ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ٧٨/٤٩٣٣
الترقيم الدولى ٣ — ٤١ — ١ — ٧٣ — ٩٧٧